تنبيـــه

الارقام التي سترد بارزة، وبـــين حاصرتين [ ] ابتداء من صفحة 65 تشير لرقم ورقات المخطوط في الأصل. وقد نحيل عليها في التعاليق.

[2] بسم الله الرّحمن الرّحيم صلّى الله على محمّد وآله

(منازلة ابن مردنيش لمدينة جيان ومحاصرته لقرطبة سنة 554)

وفي هـذه السنة وهي سنـة أربع وخمسين وخمسمـائة خـرج محمـد بن سعد بن مردنيش(1) من مدينة مرسية(2) بعسكره ومع أصحابه النصـارى أهلكهم الله بجيشـه المفسد منتهـزاً الفرصـة في ظنه ومتخيـلاً بما أفسدتـه الخمـر من ذهنه، أنه بمغيب(3) أمير المؤمنين يتغلب على الموحدين ـ أعانهم الله ـ بجزيرة

(1) أحد الثائرين الذين ظهروا بالأندلس في أعقاب دولة المرابطين ممن لم يترددوا في طلب العون من المسيحيين ضد الموحدين، وقد أنكر بعض الباحثين نسبه في العرب وأرجعوه لأصل اسباني ذاكرين أن جده الأعلى (مردنيش) محرف عن: Martinez. وتسميه المراجع النصرانية بالملك لوبو El Rey Lobo وقد منحه البابا لقب «صاحب الذكر الحميد»، توفي سنة 567 ـ ابن الابار، الحلة السيراء ص 220 ـ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، نشر بروفنصال، طبعة لبنان 1954 ص 259.

Dozy: **Recherches sur l'Histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge, T. I 198, page 365 - 66.**

Melchor - Antuna: **Campanas de los Almohades en Espana, Fasc. I (Religion y cultura)**P. 13, Note 5.

(2) مرسية (Murcia) بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة 216 لا تبعد إلا يسيراً عن شاطىء المتوسط شمال قرطاجنة تبعد عنها بـ 48 ك.م.

الحميري: الروض المعطار، نشر بروفنصال - 1937 طبعة القاهرة ص 181-182-183.

شكيب ارسلان ـ الحلل السندسية؛ جزء ثالث، طبعة 1936، ص 533.

(3) تحرك عبد المؤمن من حضرة مراكش في أول شوال من سنة 553 متجهاً نحو رباط الفتح، وبعد أن نظم الأحوال تحرك من سلا في العاشر من شهر صفر من عام أربعة وخمسين وخمسمائة قاصداً المهدية وطرابلس بإفريقية ليفكهما من جَوْرِ روجي الثاني أو عاليالم الذي حاول أن يخلق جواً من العداء بين طرابلس وعبد المؤمن الموحدي. أنظر رحلة الحشائشي ص 36. ابن غلبون:=

الأندلس حتى نزل على مدينة (جيان[1])، وفيها محمد بن علي الكومي [2]، فصادف عنده من النكوث بالبيعة قبولاً لمراده، وأعجله الشؤم من رأيه بارتداده، فظن ابن مردنيش أن سائر البلاد يجد عندها وعند أهلها ما وجد عند محمد بن علي في هذه من الفساد، فوصل قرطبة[3] ونازلها ودمَّر زروعها، وعفَّى ربوعها، وكان فيه[4] أبو زيد عبد الرحمن بن تيجيت [5]والياً عليها، وحافظاً لديها، فدافعه مدافعة الفرسان الأبطال، أهل الوفاء بالبيعة للأمر العزيز في كل حال، وقاتله أشد قتال، ولاقى عنده ما يلقى من الآساد عند حماية أبنائها الأشبال.

= التذكار فيمَن ملك طرابلس من الأخيار، ص 58. ابن عذاري: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب (من مخطوطات وزارة الأوقاف) الخزانة العامة، الرباط - مسجل تحت رقم ق: - 200 ص 19-20. وهذا المخطوط مائل الآن للطبع في معهد الأمير مولاي الحسن بن المهدي بتطوان، وذلك بعناية المستشرق الاسباني السيد امبروسيو ويسي ميراندا ومساهمة الأستاذين محمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكتاني.

(1) جيان (Jaen) تقع شرقي قرطبة على بعد 108ك.م منها، من علمائها أبو ذر الخشني أحد رجالات جامع القرويين.
ابن أبي زرع، القرطاس نشر الهاشمي الفيلالي - الرباط 1936. الحميري؛ الروض المعطار - 70 - 71-72.

(2) تتضافر المصادر على أن محمداً بن علي الكومي كان والياً على مدينة جيان ولكنها لم تشر لتاريخ توليه هذا المنصب.
ابن عذاري: البيان المغرب ص 22 - ابن خلدون، المجلد السادس طبعة بيروت 1959.
الناصري: الاستقصاء، طبعة دار الكتاب بالدار البيضاء سنة - 2 - 1954 ص 126.

(3) قرطبة (Cordoba) قاعدة بلاد الأندلس وتمتاز بجامعها الشهير، تقع شرقي مدينة اشبيلية على بعد 138 ك.م.
الحميري: الروض المعطار من صفحة 153 لى 158.

(4) كذا يوجد في الأصل ويظهر أن الصواب (فيها) وفي ابن عذاري (بها) أنظر: البيان المغرب ص 22.

(5) بعض المصادر تكتبه هكذا: ابن بكيت؛ وبعضها ابن يكيت، وبعضها بخيت، وقد عينه والياً على قرطبة عبد المؤمن سنة 550، وتيجيت كلمة بربرية معناها شجرة صغيرة.
ابن عذاري: البيان المغرب ص 11 - ابن خلدون - 492:6 الناصري: الاستقصا. ثان. ص 110 - 126.

(التحيل لاقصاء ابن مردنيش عن قرطبة ومقامه على أبواب اشبيلية)

ودام حصاره لها، إلى أن اجتمع القاضي أخيل بن إدريس[1] مع أبي زيد عبد الرحمن المذكور وتحيل[2] [3] بحيلة من حيل الحرب وكتبا كتاباً على لسان **سيد راي بن وزير**[3] **من اشبيلية** [4]ودفعاه لرجل زيات على ثيابه أثر الزيت، وكان الرجل من خَوَل القاضي، فأمره أن يغير لباسه كأنه زيات من أهل الشرف [5]، ويسير بالكتاب إلى ابن مردنيش بمحلته ويدفعه له. وفي الكتاب من ابن وزير فصلٌ مستفعل عليه مكتوب أن يعجل بالإقلاع عن قرطبة ويسير إلى اشبيلية فهو ضامن له دخولها، فحين قرأ الكتاب ابن مردنيش أمر بالإقلاع والإسراع، واتفق من قدر الله تعالى أن الموحدين - أعانهم الله - كانوا

---

(1) ممن كتب للملثمين وقد اتصل بعد بالوزير ابن عطية فكانت له وظيفة مع الموحدين انظر ص - 82 - 83 من (المن بالامامة) - الحلة السيراء 222. المقري: نفح الطيب، طبعة 1949خامس ص 19. الزركلي: الاعلام 265:1.

(2) هناك كشط في المخطوط والأصل: تحيلا، ابن عذاري، البيان المغرب ص 22.

(3) يكنى أبا محمد وهو من الرواة الذين اعتمدهم ابن صاحب الصلاة مراراً، وممن لهم خطوة سامية في العصر الموحدي، كان من أشياخ الثوار في الأندلس، ثم سكن مراكش، وقد حضر عدة غزوات وذهب في سفارة فرنانده البيوج وكان يجيد اللسان العجمي. وبعض المصادر تكتب اسمه هكذا (سيداري) و(سيدارن) باللهجة البربرية معناها: على رجليه. أنظر ص 263 من متن ابن صاحب الصلاة، الحلة السيراء ص 202-239، أشباخ: تاريخ الأندلس ص 207، الاستقصا. الجزء ص 107.
وعلى بعد ثلاثة كيلومترات شرق مدينة باجة يوجد جبل «سيداري» ويبدو أن هذا أثر لا جدال فيه لسكنى سيداري، وذلك على ما يرى العالم البرتغالي مارتيم فولحو (Martin Velho) في الإفادة الخاصة التي أدلى لنا بها مشكوراً بمناسبة زيارتي الأخيرة للبرتغال.

(4) اشبيلية (Sevilla) تقع جنوب غربي قرطبة بينهما 138ك.م، مدينة أزلية ظلت محل عناية من الفاتحين وخاصة بني عبد المؤمن. الحميري، الروض المعطار من صفحة 18 إلى 22.

(5) الشَّرف (Aljarfe) يقع في الشمال الغربي من اشبيلية على بعد ثلاثة أميال منها ويعرف بزيته الشهير، ويسمى كذلك لأنه مشرف على ناحية اشبيلية. الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، طبعة ليدن 1864 ص 173-178. الحميري، الروض المعطار ص 101-102. المقري، النفح، طبعة 1949 جزء 1 ص 103-150-160. علي نصوح الطاهر: شجر الزيتون، طبعة 1947ص - 11 - 12-164-165.

قد وجّهوا جاسوساً إلى المحلة من اشبيلية فحين علم الخبر، وشاع وانتشر، رجع من ليلته إلى اشبيلية وأعلم بإقلاع المحلة وبخبر كتاب ابن وزير الذي سمع. فصدقوه، وتغيّروا على ابن وزير وسجنوه، فوصل ابن مردنيش بجمعه ونزل على مقربة من أشبيلية بالموضع المعروف بألفونت[1] على ميلٍ منها وقاتلها ببعضٍ من أجناده حتى وصل إلىُ باب قرمونة [2]، وأقام على اشبيلية ثلاثة أيام، فلما لم يرَ شيئاً مما كان في الكتاب علم أنها خدعة وأقلع خاسراً، وقد شرحت هذا الخبر في (تاريخ المريدين[3]) ولقيت اشبيلية عظيم الخطب، وجماع الرعب، وحل بها وبأهلها كرب وحرب، وضبطها السيد[4] الأعلى أبو يعقوب [4] - رضي الله عنه - بسعده. وحزمه وجده وعلو جده وبمن كان عنده من حفاظ[5] الموحدين الكبراء وطلبتهم أعزهم الله وبالأجناد الأولياء

---

(1) ألفونت (Al-Funt) على ميل شرقي اشبيلية وقد روى ابن الابار عن بعض أصحابه أنه قال: رأيت منقوشاً في حجر ألفونت من خارج اشبيلية:

حَلف الجودُ يا سُلَيمى وأقسَم ... ما فتاه سوى الوزير أبي أرقم
عاش ما عاش ثم مَات جميداً ... رحِم الله مَن عليه ترحَّمْ

التكملة، نشر بيل وابن ابي شنب.

Ambrosio Huici Miranda: **Historia Politica del Imperio Almohade**, 1957, page. 196.

(2) باب قرمونة (La puerta de Carmona) تقع في الجنوب الشرقي من اشبيلية في اتجاه مدينة قرمونة.

(3) هذا كتاب آخر لابن صاحب الصلاة ورد ذكره مراراً، وقد أغفل الناسخ في هذا الموضع تنقيط الحرف الذي يلي الراء فاحتمل الياء والتاء لكنه في المواضع التالية: ص 20-54-230-271 وضّح الياء، والكتاب في المرة الأخيرة ورد باسم ثورة المريدين. راجع المقدمة حول هذا الكتاب.

(4) كان بنو عبد المؤمن يُسَمون بالسادة، وقد عين أبو يعقوب والياً على مدينة اشبيلية سنة إحدى وخمسين وخمسمائة باقتراح من القاضي ابن الجدّ الذي ورد على الحضرة العلية ضمن شيوخ اشبيلية. ابن عذاري: ص 13-14 المقري: نفح الطيب طبعة مصر 1949-1-420. الناصري: الاستقصاء 2-100.

(5) امتاز نظام الموحدين منذ ظهور المهدي، بارتكازه على (وحدات) معينة، تأخذ كل منها ترتيباً خاصاً، والظاهر أن هذه الطبقات تزايدت وتنوعت بحسب الحاجة والزمن، وقد تعرضت جل مصادر التاريخ الموحدي لهاته الأصناف وتعدادها. بما في ذلك كتاب البيذق، والمعجب للمراكشي، والقرطاس، ونظم الجمان. وكتاب العبر، والحلل الموشية، ورقم الحلل إلى آخره. . . إلا أن هذه المصادر تختلف قليلاً حول الترتيب المعروف لهاته الفئات وعددها ونوعها. فالبيذق مثلاً =

المُحبين كأبي العلاء بن عزون[1] وأصحابه وكأبي بكر الغافقي [2] وأشياخ

= يكتفي بذكر (أهل الدار): دار المهدي، وأهل الخمسين، الذين هم في عداد صحابته الأولين من أهل القبائل التي تسارعت إلى الاستجابة لدعوته: هرغة وتينملل وهنتاته وجدميوه، كما يذكر عبيد المخزن والحفاظ وأهل الحزب. . .

بينما تولى المراكشي الحديث عن (العشرة) الذين يسمون بأهل الجماعة، ثم طبقة أهل الخمسين الذين يسميهم ابن خلدون آيت الخمسين، وذكر المراكشي أن الموحدين خصوا العلماء المستجلبين باسم طلبة الحضر، كما أطلقوا على علماء المصامدة طلبة الموحدين. وإن هؤلاء الطلبة هم (الأشياخ) بالذات، وقد أعطى ابن القطان تفسيرات لبعض مهمة الطبقات الموحدية، حيث ذكر أن أهل الدار يختصون بالخليفة في ليله ونهاره، كما ذكر ابن الخطيب في رقم الحلل أن أهل الجماعة كان يخصهم للتفاوض والتشاور، والطلبة والحفاظ لحمل العلم والتلقي، وأهل القبائل لمدافعة العدو.

هذا وورد في الحلل الموشية ذكر (أهل سبعين) نقلاً عن ابن اليسع، وقد أنكر وجود هذه الطبقة ابن القطان في نظم الجمان، ذاكراً أنه لا يعرف غير العشرة وأهل الخمسين، ويؤيد هذا خلو البيذق، وابن صاحب الصلاة، وابن خلدون مثلاً من ذكر السبعين. وتتميماً للحديث نشير إلى أن بعض الكتب المذكورة لا تخلو من اضطراب عند محاولة استقصاء عدد الخمسين مثلاً. فقد لا يتجاوز المعدود في بعضها تسعة وثلاثين وقد يتجاوز الخمسة والخمسين.

البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، نشر بروفنصال صفحة 29-32-33-34-35.

المراكشي: المعجب طبعة القاهرة سنة 1949 صفحة 188-342.

ابن القطان: نظم الجمان (مخطوط) نشر الدكتور محمود علي مكي، وكيل معهد الدراسات الإسلامية بمدريد بمساعدة المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط.

ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، طبعة الرباط صفحة 113-114-116.

ابن خلدون: العبر، طبعة بيروت، الجزء السادس صفحة 470.

الحلل الموشية: نشر الأستاذ علوش: الرباط 1936 صفحة 87-88-89.

ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول صفحة 57.

الناصري: الاستقصاء صفحة 86.

Basset et Terrasse: Sanctuaires et foteresses. Almohades. Hespéris, t. IV, 1924, p.26 - 27 - 28.

(1) شيخ الرؤساء بالأندلس والمستشار الناصح لعبد المؤمن ولابنه من بعده، وقد انتدب لعدة مهمات اذْ كان ينعت بناصح الدولة المهدية، وقد حضر غزوة (وبذة) مع الخليفة أبي يعقوب وهو من الرواة الذين اعتمد عليهم ابن صاحب الصلاة. أنظر ص 351 من كتاب (المن بالامامة).

(2) هو قاضي مدينة اشبيلية من الذين كان يعتمدهم أيضاً عبد المؤمن وقد كان في صدر الذين يدخلون عليه، وقد كان من أهل العلم والنباهة، وكان أحد الوافدين على الخليفة سنة 555 وقد ولي بعده قضاء اشبيلية أبو القاسم الحوفي. توفي في نحو السبعين وخمسمائة. التكملة ـ العطار رقم 192.

اشبيلية، وأعيانها المحبين المخلصين لهذا الأمر العزيز، يسمرون طول ليلهم على الأسوار ويثقفون أبواب المدينة بالثقاف طول النهار ويتعوذ الجار من شر الجار، وساء ظن الموحدين - أعانهم الله - بالناس فسجن منهم من اتهم، وأمضى السيف والنكال على من صح عليه أنه غش الأمر وأجرم، وسلم من لازم الطاعة واستسلم، ودام ذلك كله حتى طلع الفجر الصادق بالفتوح والبشار بكل جذل، فجذع أنف الكفر وأرغم بالكتب الواردة عليه بالفتوح المتصلة المتناسقة المشتملة فمنها:

ذكر ورود الكتابين العزيزين المبشّرين بالفتوح الماضية والمستقبلة

الواحد منها مؤرخ بالثاني من ذي الحجة من عام أربعة وخمسين بظاهر المهدية[1] يعلم فيه بكل سرور[2] وجذل، ومنال إقبال وأمل والكتاب الثاني، الجامع لجميع أشْتات [5] الفتوح والأماني، مبشراً بفتح[3] مدينة المهدية في يوم عاشوراء من عام خمسة وخمسين وخمسمائة، وتاريخه بيوم عاشوراء.

قال الراوية [4]: ولما فتح الله تعالى مدينة المهدية بتيسيره الغريب،

---

(1) منسوبة إلى عبيد الله المهدي الذي بناها على شاطىء شرقي القيروان سنة 300 (916م) وكانت تسمى جزيرة الفاو: وفيها يقول الشاعر ابن حبوس الفاسي في الخليفة الموحدي:

بطالع الأسد اختطّ البناء بها لكنك الأسد الدامي الأظافير
باب حديد وأبراج ثمانية تسخر العقل فيه أي تسخير

البكري: المسالك والممالك ص 29. نشر البارون دوسلان، الجزائر 1857.
الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد طبعة الاسكندرية 1958 ص 117. ابن حماد: أخبار ملوك بني عُبيد وسيرتهم ص 9-10.

(2) اكتفى ابن صاحب الصلاة بالإشارة فقط إلى موضوع هذه الرسالة وإنها كانت «بشرى» من غير أن يورد نصها الكامل.

(3) يقتصر أيضاً ابن صاحب الصلاة في الكتاب الثاني على وصف «فصول الكتاب الرفيعة» ومقارنته بأساليب البلاغيين المشهورين. وإذا ما اعتمدنا ما ورد في صفحة 7 فإنه من إنشاء الخليفة، ولا بُدّ من التقدم إلى صفحة 40 للوقوف على مزيد تفصيل لأخبار المهدية.

(4) لم نهتد إلى معرفة اسم راوية ابن صاحب الصلاة وأغلب الظن أنه كان يستقي أخباره في كل =

واليمن القريب، ونزل النصارى - أهلكهم الله - عنها، وصفت للإسلام بسعد سيدنا الخليفة الإمام جلس أمير المؤمنين الخليفة رضي الله عنه للموحدين أجمعين مجلس التهنئة والشكر لله تعالى على ذلك ودخل إليه الفقيه العلامة أبو محمد المالقي[1] شيخ طلبة الحضر فقبّل يده وهنّأه على ذلك، فقال الخليفة له رضي الله عنه يا أبا محمد: هل قال أحدٌ في هذا الفتح شيئاً؟ قال: فيه... [2] ابن حبوس[3] قصيداً حسناً أوله: (كامل)

(شُدَّت إِلَيْكَ عَلى الرِّياحِ سُروجُ أَيْنَ الفِرار بأهلكم يَاجُوجُ)[4]

قال الخليفة: يكفيه هذا البيت وأمر له بجائزة.

= مناسبة من الشخص المختص، على أنه ذكر أحياناً اسم الذين حدَّثوه كأبي محمد سيد راي (ص 236) وأبي العلاء ابن عزون ص 352.

(1) هو عبد الله بن محمد بن عيسى الأنصاري المالقي، أخذ في صغره عن أبي الحكم بن برجان، واختلف إليه بقريته من نظر طلياطة من شرف اشبيلية، كان فقيهاً نظاراً خطيباً مفوهاً ذا حظ من الأدب وافر، وقد نال مركزاً مهماً لدى الخليفة إذ كان أمينه ووزيره وكان شيخ طلبة الحضر عنده. توفي بمراكش سنة 574. ابن الابار: التكملة كوديرا رقم 1394... المراكشي، المعجب طبعة 1949 ص 200-245.

(2) هنا بياض. التنبكتي: نيل الابتهاج صفحة 134، ولعل الأصل هكذا: فيه قال ابن حبوس.

(3) هو محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس بالباء الموحدة المخففة، كان يسكن بدرب السراجين من فاس. كان عالماً وشاعراً ملفقاً يتقدم في ذلك أهل زمانه ولد سنة 500 وتوفي سنة 570.
ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة رقم 1055 طبع كوديرا.
المعجب، طبعة القاهرة 1949 ص 213-214.
Pérés: La poesie - Fès sous les Almoravides et les Almohades Hespéris. T. (XV3) 1934 page 18 - 33.
محمد الفاسي: الشاعر ابن حبوس (مجلة الثقافة المغربية) نونبر - دجنبر 1941 ص 153-162.

(4) بيت من قصيدة نظمت في بجاية، ونعرف منها بيتين أوردهما صفوان بن ادريس:

عصفت بدعوتك الرياح الهوج وسطا بأمرك ذابل ووشيج
وتقدمتك إلى العدو مهابة يشقى بها في سده ماجوج

والقصيدة كما ترى خطاب لعبد المؤمن وليست خطاباً لأبي يعقوب يوسف.
انظر صفوان بن ادريس، زاد المسافر، نشر عبد القادر محداد. طبعة بيروت 1939. ص 1 - 2، سنة 1934. المجلد 18 ص 32. الجراري «دعوة الحق» مارس 1961ص 56. ثم لا يخفى ما في البيتين من تلميح لتاريخ الاسكندر الأكبر وياجوج وماجوج، المذكور في القرآن السورة 18 آية 90-91. ابن جزي، كتاب التسهيل المجلد الأول، الجزء الثاني ص 194-195.

وفي الكتاب من وصف الفتوح والجذل الممنوح بما أربى على وصف الصاحب بن عباد[1] أو البليغ عبد الحميد[2]، وأطنب وطرب النفوس بمجاجات مسرات أعجزت في النثر كتابة أبي الفضل بن العميد[3]. فيا له من كتاب أقبل والنفوس من علل الفتنة تسوق، وأحيى بريح طيبة الظفر خالطه[4]. من ريح النصر خلوق، سرح باتصال فتح إفريقية[5] وطوع [6] العرب ثم ارتدادهم. ثم تيسير الفتح الأعظم في هزيمتهم وغنيمتهم. وتغلغلت فصول الكتاب العزيز في فصوله الرفيعة، وأوصافه البديعة، في آثار الوقائع بالسيوف الحداد، في ذكر الخبيث المخبث جرثومة الضلالة والعناد، الكذوب الطاعة والانقياد، المتسمى بمحرز بن زياد[6]، وأمثاله وأقياله بما أعجز الأسماع، وملأ بالسحر الحلال الرقاع.

وفي آخر الكتاب قطعة شعر أعلنت بقضاء الله تعالى بالبيعة في بلوغ الأوطار، وفتح المشارق، وإتمام مراد الله في غلبة الكفار، والمرتدين الأشقياء

---

(1) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة للدكتور عبد الحليم النجار، طبعة دار المعارف مصر 1961، المصدر السابق جزء أول ص 261.

(2) بروكلمان، المصدر السابق جزء أول ص 261.

(3) بروكلمان، المصدر السابق جزء ثان ص 119.

(4) هكذا في الأصل، ويظهر أن الصواب خالطها لأن الريح لفظ مؤنث أو أن هناك لفظة (الذي) محذوفة: الظفر الذي خالطه.

(5) يذكر صاحب الاستبصار ـ وهو ما يقوله أبو عبيد الله البكري الاندلسي ـ أن حد أفريقية طولاً من برقة شرقاً إلى مدينة طنجة غرباً، وأن عرضها من البحر إلى الرمال التي هي حاجز بين بلاد أفريقية وبلاد السودان، لكن ياقوت في معجمه يجد أفريقية من طرابلس الغرب إلى بجاية، ويؤخذ من ابن صاحب الصلاة أن أفريقية تشمل طرابلس الغرب، وهو ما تؤيده المصادر التاريخية القديمة.

الاستبصار ص 111-112، معجم البلدان: طبعة بيروت 1955 أول صفحة 228، المن بالامامة ص -43 - 300 - 302 جلاء الكرب عن طرابلس الغرب: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، تحقيق الطاهر الزاوي. ص 58-59.

(6) هو محرز بن زياد الفارغي أو الفادغي أمير بني علي من بطون رياح ابن خلدون - 6:44 - 332- 336 - 494. التجاني: الرحلة. ص 341. ابن غليون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار ص. 53.

الفجار، ونيل الغلبة لأولياء الله الموحدين الأبرار، وعِدَةٍ بنصر معجل، وفتح قريب في يوم أغر محجل، وهي[1]: (طويل)

وَلَمَّا قضيْنا بالمشارقِ أمرَنا   وَتم مراد الله في كلِّ مطلبِ
وأشرقتِ الشمسُ المنيرة موهناً[2]   وأصبح وجهُ الحق غيرَ محجَّبِ
وطُهِّر هذا السّقعُ[3] من كلِ كافرٍ   وعادَ بها الإسلامُ بعدَ تغيُّب
وكسرتِ الصُّلبانُ في كلِ بيعةٍ   ونادى منادي الحق في كلِّ مرقب
أشرنا بأعناق المطيِّ إليكُم   فطارَ بها شأْوُ السُّرور بمغرب[4]
فابْشِر أبا حفص[5] بنصرٍ مؤزَّر   كفيلٍ بما تبغيه في كلِّ مذْهَب
ولا بدَّ من يومٍ أغرَّ محجَّلِ   يُسيل دماءَ الكفر في كل مذْنَب
وتُشفى صدورُ المؤمنين بغزوةٍ   تكون على حكم الحُسام المدرَّب
[7] ويغزُو بلاد الروم جيشُ عرمرمٌ   تُخُيِّرَ من قيسٍ[6] وأبناء يعْرُب[7]

---

(1) القصيدة ـ إذا ما اعتمدنا ما ورد هنا في صفحة 8 وما في ص 23من ابن عذاري ـ من شعر الخليفة عبد المؤمن، وقد كان بالفعل شاعراً. الحلل ص 131.

(2) قرىء في ابن عذاري هكذا (فوقنا) انظر ص 23.

(3) يكتب الصَّقْع دائماً عنده بالسين وهي ـ وإن كانت لغة ـ لكنها غير مشهورة.

(4) فيه إشارة إلى قول الشاعر:

أخذنا بأطراف الحديث بيننا   وسالت بأعناق المطي الأباطح

(5) هو السيد عمر ولد عبد المؤمن من زوجته صفية بنت أبي عمران، حاكم تلمسان ثم حاكم اشبيلية.

(6) يعني قيس بن عيلان، ويذكر بعض النسابة أن البربر ينحدرون منه، وفي ذلك ينشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلي:

أبونا أبوهم قيس عيلان في الذرى   له حرمة تشفي غليل المحارب
وقيس قوام الدين في كل بلدة   وخير معد عند حفظ المناسب
وقيس لها المجد الذي يقتدى به   وقيس لها سيفٌ حديد المضارب

ومما ينسب أيضاً ليزيد بن خالد:

أيها السائل عنا أصلنا   قيس عيلان بنو العز الأول
إن قيساً قيس عيلان لهم   معدن الحق على الخير دلل

لكن المحققين من المؤرخين يعتبرون هذا النسبة (منكراً من القول) على حد تعبير ابن خلدون.

ابن خلدون 6:186-187-190-191. الناصري: الاستقصاء 1:62-63.

(7) يعني يعرب بن قحطان وقد كان من أعظم ملوك العرب، ويقال إن العرب إنما سميت عرباً به=

تصـول بـه من عصبـة الحق مَعْشَـرٌ نخيلـة[1] مـا أبقـاه ميـر مجـرّب
فيـدمـغ بـالصمصـام كـلَّ مُجَـاهِـرٍ ويقـطـع بـالبـرهـان كـلَّ مشغِّب
فـطوبى لأهل الغـرب[2] ماذا يـرونـه من النّصـر والفتـح المبين المقـرَّب

(الاحتفالات في اشبيلية ببشائر النصر في المهدية)

وكان وصول هذا الكتاب الكريم إلى اشبيلية والأبيات المعجزة المبشـرة النيرة، التي تركت ألبـاب المنافقين متحيـرة، في شهر صفـر من عـام خمسـة وخمسين وخمسمـائة، فـأمر سيـدنا الأمير الأجل أبـو يعقـوب ـ أميـر المؤمنين بعدُ ـ أن يكتبها الناس والطلبة باشبيليـة ويحفظونهـا ويسردونهـا على ألسنتهم. وذكر أنها من إنشاء الأمر العزيز فـامتثل النـاس ذلك، ودعـوا إلى الله أن يخلد لأمير المؤمنين الأوامر العـزيزة والممـالك، وقـرئت الرسـالة والأبيـات الواصلة وتليت، وارتقيت بها ذوائيب المنابر، واسمع بها الحاضر والبادي بجميـع هذه البشائر، وبث مسراتها في الرعايا والعشاير، وطارت الـركبان بـأبياتهـا العذبـة المبشرة مطارها إلى الجهات والعمـاير، وقـرعت أخبارهـا الصادقـة، وأنباؤهـا المتلاحقة، سمع كل كـافر، والحمـد لله. وأمر الأميـر السيد بقـرع الطبـول[3] على هذه المسار التي استلذت بهـا المقل وحمـدت غيابـات الكرى، وتمتعت

= وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا بها وتناسلوا.
عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب :3 ص 1266.

(1) يرويه ابن عذاري «بجملة ما يلقاه خير مجرب» وعلى هذا يكون المعنى أن هـذا المعشر خير مجـرب لكل ما يلقاه.

(2) يعني بالغرب هنا البلاد التي تقع غرب المشارق التي «انجز الله فيها وعده» فتشمل اذن بلاد المغرب والأندلس. . .

(3) جرت عادة استعمال الطبول عند الموحدين سواء عند البشـرى أو الايذان بـالحرب، والحقيقـة أنها عـادة عرفت منـذ أيام المـرابطين فلقـد استعملها يـوسف بن تاشفـين منذ سنـة 454، ويظهـر أن «الطبول» نقلت في أغلب الظن من افريقيا، وإن الذي يزور دول افريقيا اليوم يمكنه أن يتأكـد من هذا الافتراض.
الاستبصار ص - 220 الحلل الموشية ص 41. أشباخ: تاريخ الاندلس ص 103.
الناصري، الاستقصاء: - 2 ص 45. دكتور أحمد مختار عبادي: دراسة حول كتاب الحلل الموشية مجلة تطوان عدد 1960 ص 153.

بها الآذان بنعيم [8] البشرى. وأطعم الموحدين والناس كافة وخاصـة من أهل إشبيلية والأجناد مدة ثلاثين يـوماً، وقـرع الطبـول مع الأطعـام متصل، والبشـر مشتمـل، والشعـراء ينشـدون أشعـارهم بـالتهـاني ويتممـون[1] الثلج بصحيـح الأماني.

(استشهاد عبد الرحمن بن تيجيت بضواحي قرطبة)

وفي هذه الأيام ورد خبر كارث من قرطبة أن إبراهيم بن همشك[2] صهـر ابن مردنيش نازل قـرطبة ودمَّـر زروعها وقـطانيها وأن أبـا زيد عبـد الرحمن بن تيجيت حافظهـا وشيخها استشهـد عليها، وذلـك أن ابن همشك لمـا أقلع من منازلتها وانتشاف ما كان بخارجها أكمن بخيله ورجالـه على مقربـة منها بقـرية (أطابة[3]) وهي قفرة، فخرج أبو زيد عبد الرحمن في جملة من فرسانه ليتطلع الحـال فخرج عليـه الكمين، فقاتـل حتى استشهد على مقـربة من قـرطبة في الموضع المعروف «بالدَّارات[4]». رجع الخبر.

(استنجاد والي اشبيلية بأبيه عبد المؤمن واستعجاله في القدوم)

فجـاوب السيد الأمير الأعلى أبـو يعقـوب، حضـرة أبيـه الخليفـة أميـر المؤمنين رضي الله عنـه على الكتـاب العـزيز الـواصـل بمـا اقتضـاه النثـر، واستـوجبه من الـدعاء والتـأميل الأمـر، ووصـف الفتنة واستغـاث إلى الحضـرة

(1) هكذا في الأصل: ويتممون الثلج، وفي البيان المغـرب: ويتمون الثلج ص 42. وثلجب نفسـه ـ كدخل وطرب ـ: اطمأنت. . .

(2) إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك، وهمشك جده نصـراني أسلم على يـد بني هود بسـرقسطة، كان في جملة الثوار الذين كانوا يطمعون في اقصاء الموحدين عن الجزيرة، وقد داخل ابن مـردنيش حتى زوَّجه بنته ثم اختلفا فيما بعـد. وتسميه بعض المصـادر عبد الله. المـراكشي: المعجب، طبعة سلا سنة 1938، نشر محمد الفاسي ص 126. Dozy: Recherches. T. IP. 368 — 69.

(3) اطابة: قرية قريبة من قرطبة، وقد اكتفى ويسي بنقل اللفظ هكذا (Atâba).

(4) الدارات: موضع قريب من قرطبة وقد فعل به ويسي ما فعله بالسابق · (Al - Darât)

العلية أن يستعجل منها النصر، وكان عنده باشبيلية الأستاذ أبو العباس ابن سيد المالقي [1] فأمره الأمير السيد الأجل [9] المذكور أن يجاوب بشعر على معنى الشّعر الواصل، ويذكر حال الفتنة، وبعث بهذا الشعر مع الجواب الذي يشرح فيه أحوال ابن مردنيش وإلحاح فتنته فقال: (طويل).

هُو الأمرُ أمر الله ليس له ردُّ   يؤيده أيدٌ ويسمو به جَد
وقد وضحت آياتُه وأباته   وقد أفحمتْ رُعْباً به ألسنٌ لُد
وما اشتبهت مُذ حُمَّ إلا لزائغٍ   عقيدتُه كفرٌ وإقرارهُ جحدُ
فمَن يبغ فيها الغيَّ بعد اجتلائِه   فإن حسام الهِنْد فيه لَهُ رُشْد
وهذي [2] رياحُ ريحه عصفتْ بِهِمْ   فعادُوا كعادٍ [3] حين جلَّلها الرمْدُ
ولم يُنْجِهم حصْنٌ حصينٌ إذا انزووا   ولم يُغنِهم ذاكَ العديدُ ولا العَدُّ
ولم يَجِدُوا النَّصر العتيدَ بزَعْمِهمْ   من اللَّات بل رُدُّوا حديثاً كما أُردوا
وكانت سبيلُ الرَّشْدِ واضحةً لهُم   فما منهُم فيها وسيمٌ ولا وَخْدُ
ولا سَلَكُوا فيها سلوكَ مُعذِّرٍ   ولا انتضَحَت فيها الشكائمُ واللّبْدُ
ولكنهُم مالُوا إلى الكفْرِ ميلَةً   فصالتْ بِهِمْ منكُمْ يَدٌ ولها الأيْدُ
إليكُم أميرَ المؤمنين توجَّهَتْ   بنا الرَّغَبات الجمُّ يحتثُّها جهْدُ
لَعَلَّ عياناً منكُمُ لعبيدِكُمْ   وقرباً لكم منهُمْ يُدالُ بهِ البُعْدُ!
فقد عضَّهُم نابٌ من الكُفْرِ معْضِلٌ   وكانُوا بكمْ دَهْراً وأنيابُهُ دُرْدُ!
بكُمْ يعصُم اللهُ العليّ جميعَهم   بكم تعظُم الآمالُ بَلْ يكثرُ الرِّفْدُ

(1) أحد الأدباء الذين عاشوا في البلاط الموحدي، وهو أحمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي، درس النحو والأدب كثيراً وكان شاعراً كاتباً بليغاً، وقد تحول من مالقة إلى قرطبة... ثم صار إلى مراكش فادب بني عبد المؤمن وبها توفي بعد الستين وخمسمائة، وليس هذا بابن سيد اللص كما أنَّهُ ليس هو أحمد الجراوي، انظر ص 311 من (المن بالامامة). نفح الطيب: طبعة 1949جزء 5ص 166. عباس بن ابراهيم. الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام طبعة فاس 1936 ص 226- 227. محمد الفاسي: شاعر الخلافة الموحدية، ص 3.

(2) من القبائل العربية التي زحفت إلى افريقية وهي فيما ذكره ابن الكلبي رياح ابن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر. ابن خلدون ـ 6:69-70-71... الناصري: الاستقصا 2:151.

(3) هي قبيلة نبي الله هود، وقد أرسل الله عليها ريحاً صرصراً عاتية دمرت كل شيء فيها، والرمد: الهلاك. عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، طبعة ثانية ص 69-78.

بكم يعتلي الإسْلامُ شرقاً ومغْرِباً   فلله فيها دائباً وَلكَ الحَمْدُ!

ونهض الرقاص [1] بالجواب وبهذا الشعر وطال أمد السَّفر في الورود [10] والصَّدَر، والعدو يلح بالفتنة والضرر، ويستعين باخوانه النصارى وبالمنافقين أصحابه الأخر، واشبيلية في مثل الحلقة من الفتن، قد نهل بالغصص ساكنها، وذهل خوفاً من القنص متحركها وساكنُها، وينتظر الفرج من الله، ـ تعالى ـ ومن عدة منجزة في كتاب، ويستمطر الغيث بأن يرفع الله الغيثَ بآيات الله المتلوَّة في الكتاب، إلى أن سنَّى الله وصول الجواب من الخليفة أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ من مضرب محلته المنصورة على مقربة من القسطنطينية [2] بتاريخ ربيع الأول من عام خمسة وخمسين وخمسماية يُعرف فيه بصحيح الإياب، وما ثنى فيه من أعِنَّة خيل الله لهذه الاسقاع، وحماية ذلكم الجَناب. وفيه فتح الله قفصة [3] ومخاطبة بني سُلَيم [4] بالتوحيد،

(1) الرقاص: لفظ معروف منذ القدم إلى الآن في المغرب، ويطلق على الشخص الذي يقوم بالبريد، وللرقاصة أمين يسهر على الحرفة، وقد كانت تسند لرجال أقوياء مدربين على الركض والعدو، وكان فيهم الرقاص العادي، ورقاص الشرط، وهذا هو ساعي البريد المستعجل ينقله بين المدن على الخيل والجياد بمنتهى السرعة، وكان يجد في كل محطّة حصاناً مسرجاً يمتطيه إلى المحطة التي تليها.. وقد حددت بعض الرسائل الموحدية منذ سنة 543 واجبات الرقاصة تحديداً دقيقاً حتى لا يسيئوا استعمال نفوذهم. ومما ورد في ظهير لعبد المؤمن الموحدي مؤرخ في شهر ربيع الأول سنة 543 بهذا الشأن ما يلي: «... وتخيروا لرسائلكم ارسالا، وانتقوا من أهل المقدرة على ذلك والثقة رجالا وادفعوا إليهم زاداً يقوم بهم في المجيء والانصراف، ويقطع شأنهم في التكليف والالحاق، وارسموا لهم أياماً معروفة العدد، معلومة الأمد لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم ويوزعوها على مسافات مراحلهم وحذروهم من تكليف أحد من الناس ولو مثقال ذرة...» أنظر ابن القطان، نظم الجمان، نشر الدكتور محمود علي مكي بمساعدة المعهد الجامعي للبحث العلمي، ص - 151 .162

(2) القسطنطينية: وتسمى قسنطينة، مدينة جبلية، تقع جنوب مدينة سكيكدة، وشرقي مدينة بجاية، وهي قديمة حصينة لا يعرف بافريقية أمنع منها...
الاستبصار: ص 127-165-166.

(3) تقع قفصة غربي مدينة صفاقس الساحلية، وشمال قابس وجنوب القيروان وهي مدينة كبيرة قديمة أزلية كان لها سور حصين من صخر جليل بأحكم صناعة، وكان اسمها مدينة الحنية.
الاستبصار: ص 150-151-152.

(4) بنو سليم: بطن متسع من أوسع بطون مضر وأكثرهم جموعاً وكانت منازلهم بنجد وهم بنو=

وركب الرقاص بالجواب المذكور مركباً من مدينة بجاية(1) سابحاً في البحر في طريق غير يَبس، ويسر الله له - بسعد الأمر العزيز - أن ساعدت الريح بنفس، وسار أسرع من كوكب إذا خَنَس، وخرج في (ألمرية(2)) مرساه، وحمد سَبْحَه في غدُوه وممساه، ووصل إشبيلية وغرناطة(3) في أقرب تاريخ دون تعب في مسراه، وفي الكتاب الكريم الواصل في طيه مدرج نصُّه هذا(4) مع الشعر المجاوب به على شعر الأستاذ ابن سيد المتقدم:

[11] بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده (5)، أعزكم الله، وجعلنا وإياكم من الشاكرين لنعماه، إن من الواجب

= سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، وفيهم شعوب كثيرة. بن خلدون: 6:-141-142-143-144-145. الاستقصاء 146:2.

(1) بجاية: مدينة عظيمة على ضفة البحر المتوسط في الشمال الغربي من القسطنطينية وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة، بناها المنصور بن حماد على إثر عيث العرب في افريقية والقيروان وقد سماها المنصورية، وتحيط بها الجبال والبحر منها في ثلاث جهات، لها طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق... الاستبصار ص 128 - 129. ابن خلدون 6:357-358. وفي علمائها في المائة السابعة ألّف الغبريني كتابه عنوان الدراية.

(2) المرية: (Al Meria) تقع على شاطىء المتوسط جنوب شرقي غرناطة، وفيها الف أبو جعفر بن خاتمة (مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية) وفي فاجعتها الف أبو المطرف بن عميرة.

(3) غرناطة (Cranada): يقال غرناطة كما يقال اغرناطة، وكلاهما اعجمي، تقع جنوب مدينة جيان، وشمال مدينة مالقة، فيها يقول وزيرها الشاعر ابن زمرك:

عقيلة تاجها السبيكة　　تطل بالمرقب المنيف
كأنها فوقه مليكة　　كرسيها جنة العريف

ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة - المجلد الأول نشر محمد عبد الله عنان ص 99.

(4) يلاحظ من الآن أن جميع الرسائل التي يتضمنها (كتاب المن بالامامة) لم يذكرها الأستاذ ليفي بروفنصال في «مجموع رسائل موحدية» الذي نشره برباط الفتح سنة 1941.

(5) سنرى في صفحة 99 أن الموحدين اتفقوا على وضع علامة «والحمد لله وحده» منذ رمضان 561، وذلك - على ما يقول ابن خلدون - اقتداءً بالامام المهدي إذ وجدوها في بعض مخاطباته ولعل إثبات العلامة هنا - ونحن في سنة — 555 كان تمهيداً لذلك الاتفاق - ومما قالته الأديبة المغربية حفصة الركونية تخاطب عبد المؤمن:

يا سيدَ الناس يا مَن　　يؤمّل الناس رفْدَه
امنن على بطرس　　يكون للدهر عده
تخطُّ يمناك فيه　　(الحمد لله وحده) =

الحتم، والمفترض الجزم، على من لزمه شكر النعم لمسديها ممهد الآلاء لمهديها أن يقدر أولاً النعمة بكمالها، ويعمّر خاطره بتفصيل إجمالها، ويحضر في ذهنه بهجة جمالها، ويسرح عين اعتباره في مناقل أحوالها، حتى يفيض على باطنه نور إشراقها، وتهمي ينابيع مقوله بهاطل غيداقها، وتتبارى له نفحات الشكر في ميدان استباقها، وهو الفتح الذي برز في الأعجام والأعراب، وأضحى نسيج وحده في الاشباه والأتراب، وعقم عن مثله الزمن السالف، وخلت عن وصف نظير له الكتب والصحائف، تتأكد بمحله وجوهُ الاعتبار، ولا يزال موقعه يعظم بزيادة الاستيضاح والاستبصار (1)، وقد أبرزت لكم صوره، وتليت عليكم آياته وسوره، ووراء ذلك من تفاصيله مطلعات لا تنتهي إليها الأوصاف، وغايات لا تحيط ببعضها الأكناف، فاجعلوا لأنفسكم حظاً من الاعتمال في وزنه لميزانه، وقدره على حقيقة كنهه وكيانه، واعلموا أن هذه الجمرة التي أطفأ الله تعالى لهبها، والجمهرة التي أبادها الله وأذهبها، وقطع بحبله القوي وسببه المتين حولها وسنمها، هي شوكة الأمة التي لم تزل [12] للأمم صالية بنيرانها، والجن والأنس مستعيذين من شيطانها، ومردة كل طائفة متحيرة من تمردها وطغيانها. قد دوّخت الملوك والممالك، واستحقت المسارح والمسالك، واقتحمت ببأسها المتالف والمهالك، ومرت عليها قرون لم يهض لها جناح، ولا ريع لها صباح، ولا قارنها في مطالبها الغوية إسجاح، حتى ظنت أن الحتوف تهابها، وأمر الله لا يطرقها ولا ينتابها، اغتراراً بعددها وعديدها، وثقة بأن الأيام لا تنتقل فيهم عن معهودها، وقد خبّأ الله لأوليائه الموحدين من الفتح فيهم صنعاً اختصهم به من بين الأنام، وأجراه عدة لهم

= ابن خلدون: العبر: سادس 498. محمد المنوني - العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين، طبعة معهد مولاي الحسن تطوان ص 34.

Luis de Giacomo: une poétesse Andalouse du temps des Almohades Hesps TXXXIV - 1947. P. 49.

(1) أورد ابن عذاري بعض الرسالة معتذراً عن ذكر باقيها للاختصار، وقد ساقها قبل التاريخ الذي أوردها فيه ابن صاحب الصلاة، أي أنه ذكرها في أحداث سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. ابن عذاري: المخطوط ص 21.

في مأثور كلام نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام [1]. فلما حقت عليهم كلمة عذابه، وأراد الله إنقاذ حكمه فيهم بما تقدم من أسبابه. (طويل).

تَسَنَّى لأهـل الحقِّ نيـلُ مُـرادِهـم ... وطاب لهم فيما يَـرُومُـونَـه الـوِرْدُ
ويُسـرت الأسبـابُ فـاختيـرت المُنَى ... وأُحكِمتِ الآمـالُ فـانتضى الجِـدُّ
ودبّـر رأيٌ فـالـتقـتْ عَـزمـاتـه ... عَلى حُكم ما قد أُحكمت ضَربهُ الهِنْدُ
فسـار بـأمْـر الله جيشٌ عـرمـرَمٌ ... يقـودُ بـه سعْـدُ ويَحـدُو بـه سَعْـدُ
بكـلّ بسيطِ الشَّـأو منقبضِ النَّسَـا ... يصُـولُ عليـه في الـوَغى أسَـدٌ وَرْدُ
سَـروا، وريـاح النَّصْـر تحـرِدُ بينَهُم ... فـأضحتْ ريـاحٌ مـا لهَـا منهم حَـرْدُ
بضـرب يـزيـل الهـام عن سكنـاتِـهِ ... وطعنِ شتيتـاتُ القـلوب بـه سَـرْدُ
[13] شَفى كـلَّ صـدرٍ نـوّر الله قلبَـه ... وأشقى صُدُوراً ما لهـا بالهُـدَى عَهْدُ
وطُهّـرتِ الآفـاقُ من كـلّ كـافـرٍ ... فحصحص حقُّ اللهِ واستُحكم العَقْدُ
ولما طغت جهلاً ريـاحٌ وصـرصرت ... دهـتْـهـا بـأمْـر الله داهـيـة إدٌّ
فلم تُغْن عنها اللاَّت شيئاً ولا حمى ... نـفـوسَهـم عـنَّـا سُـواعُ، ولا ودُّ
وقـد مُزّقـوا في الأرض كـلَّ ممزِّق ... . فمن فـاتـه قَـدٌّ أحـاطَ بـه قـد!
وهـذا هُـو الفتـحُ الـذي بكمـالِـهِ ... تكـامـل أمـرُ الله وانتجِزَ الـوَعْـد
بـه تفتـحِ الـدنيـا بـه يبلغ المنى ... بـه يسجح العـاصي به يقـرب البُعد
لقـد جَـلَّ قـدراً أن يحيط بـوصفـه ... لســانٌ وأن يُحصيِ معـانيَـه عَـدُّ
ولله ســرٌّ فـيــه لا بــدَّ يـجـتـلَى ... بـآثـاره في كـلِّ مفتـتـح بُـعْـد
ستلقى بـلادُ الـرُّوم منـه حتوفَهـا ... ويغشى أُولِي الإلحاد من ذِكْرِه جهـد
وَمـا كـانَ هـذا الغزو إلَّا من أجْلِهِ ... فلمَّـا تجلَّى صُبْحُه كمُـلَ القصـد

---

(1) يقصد دون شك الحديث الشريف: «لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله» وقد تضافرت روايات المؤرخين على الاشادة بشهامة الافارقة وأقدامهم، فقد روي أيضاً عن الرسول (ص) أنه «ينقطع الجهاد من جميع الجهات ولا يبقى إلا ببلاد افريقية... والحديث أخرجه مسلم في صحيحه وعبد الواحد المراكشي في المعجب وطريقه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً بلفظ (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة). كتاب أعز من طلب نشر جولدزيهر سنة 1903. الجزائر صفحة 269. الاستبصار 112.

وقـد صُرفتْ نحـوَ المغـارب عـزمـةٌ ... يبين لهـا في كـلِّ نـاحيـةٍ وَقْـدُ
مـعـودَّةٌ ألا تـهُـمَّ بـمـطْلَبٍ ... فـيُلْفى لَـهُ من دُونِهـا أبـداً بُـد
وَجـدَّ لأهْـلِ الحقِّ أوْبٌ معجَّـلٌ ... فلله ذَاكَ الـرأيِ والمـذْهَبُ الجِـدُّ
وحـاجاتُهم بـالشَّرق قـد قُضِيَتْ لَهُمْ ... فـآمـالُهمْ نحْـوَ المغـاربِ تمْتَـدُّ
إلى الأُفُقِ الغـربي صُرْنـا صُـدورَهـا ... خفافاً كمـا طارتْ بجـرعاتهـا الرُّبْـد
فيـا مَعْشرَ الأشيـاخِ من كـلّ طـالِبٍ ... ومن حـافظٍ للذِّكْـرِ ألفـاظُـه سَـرد
نبشـرِكُم أنـا اهتممْنـا بـأمْـرِكُم ... فلبّتكُم منـا المسَـوّمَـةُ الجُـرد
ويَصْحَبنـا من خالصِ العُـرْب معشَرٌ ... أنـابوا فمـا رُدّوا وتابُـوا فمـا ارتدُّوا!
[14] رَأَوا في ذويهم عبـرةً فتيَقـظُوا ... وكـان لَهُـم في غي غيْـرهم رُشْـدُ
ستغـزُو بـلاد الـرُّوم منهم عصـائبٌ ... وتحمي حمى التَّوحيد من خَيْلهُم جندُ
فـطوبى لأهـل الغَـرْب مـاذا يَـرَوْنَـهُ ... لقـد جـل قـدراً أن يُحيط بـه حـدُّ
جيـوش بنصـر الله تهـمي عـليكُـمُ ... يـروق بها وَهْـد، ويـزهى بهـا نجْدُ
ويشجى بمرآهـا الأعـادي كـأنمَّـا ... عليكم بهـا صمُّ الشـوامـخ تنهَـدُّ
سـتعـلم أرضُ الـروم أيَّ فـوَارسٍ ... على ظهْـرهـا منهم إذا وفـد الـوَفْـدُ
وأيَّ رجـال لـلحـروب إذا بَـدَتْ ... أسود شَرَى يخشى ترايبها الأسْدُ!
وإنـا وإيـاهـم لـحتْـمٌ غـلابـنـا ... لهم وكـلام الـوَحْـي ليسَ لَـه رد!
وإنَّـا لنرجـو الله في كـلّ حـالـةٍ ... فيـوسعنا فضـلاً لَـهُ الشُّكْـرُ والحَمْـدُ

وهذه الفتوح التي تفتحت لها السماء، وأشرقت بأنوارها دياجير الظلماء إنما صُلي بنيران سيوفها، ودارت أرحية حتوفها، على الرياحين ومن انضاف إليهم من الذين خلعوا عن أعناقهم ربقة الإيمان، ونبذوا وراء ظهورهم أسباب الأمان، وآثروا ناعق الشيطان، على داعي الرحمن، وأما سائر الأعراب فالرجاء فيهم متمكّن، وطريق إحدى الخطتين لهم متبيِّن، والقصد إليهم بحسب نفيرهم أو نفورهم متعيِّن، لا محيص لهم عن إحدى السبيلين، ولا بدّ لهم من ركوب إحدى الطريقتين، فأما من ظلم نفسه، واعتزل الحق وأهله، فسيدوق من العذاب الأدنى مراً، ثم يُرد إلى ربه فيعذبه عذاباً [15] نكراً، وأما



من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يُسرا. الوعد بفتحهم وملكهم سابق، وخبر الوَحي لا محالة صادق، والنظر في أمرهم متدارك متلاحق، والعمل على شاكلة الصواب بحسب ما يكون منهمْ متناسِق. فاستبشروا وفقكم الله لما تستقبلونه من المواهب الجسمية، والفتوح العميمة، فإنها لهذه التي بين اليد - وإن عظم خطرها، وجلَّ في النفوس أثرها - بمنزلة الجملة للعنوان، أوالروح من الجثمان والله تعالى يجعلنا وإياكم ممّن شكر انعمه، وآثر العمل الصالح وقدمه بمنه والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

(وصول جواب عبد المؤمن لابنه)

وعند وصول المدرج وهذا الشعر المبشر انشرحت صدور الموحدين، وتحققوا نصر الله وفتحه القريب بأوفى اليقين، وقريء على المنابر، وتكررت المسارّ في الرعايا والعشاير، وانتسخ الناس والطلبة والموحدون والعامة نُسخاً من الشعر المبشر المدرج المذكور فحفظوه، وصانوه وحفّظوه ودوَّنوه، واستقبلت السيد الأجل المعظم أبا يعقوب - رضي الله عنه - وجميع الموحدين - أعانهم الله - بإشبيلية وأنظارها هذه البشائر بغررها، وجلبت لديه محاسن صورها، وتليت على التمام والكمال آيات سورها وعرضت [16] على الأفكار والبصائر أشتات عبرها، واتخذ الجميع التحدث ببركاتها أسمارهم وذهبوا إلى النزهة[1] في أنفسهم سرحة أبهجت بها أزهارهم، وأيقنوا أمنهم من المخاوف وقرارهم، ثم ترادف الكتاب العزيز الثاني لهذا المدرج من أحواز «بجاية» مبشراً بتمادي السير والانصراف، وقرع الظنابيب[2] للصراخ والغوث

(1) هنا لفظ يقرب كثيراً إلى كلمة: النزهة.

(2) جمع ظنبوب حرف الساق، يقال قرع لذلك الأمر ظنبوبه: تهيأ له، قال سلامة ابن جندل:

(كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب)

«لسان العرب»

بالانعطاف، فارتدفت المسار المؤذنة ببسطة الأرجاء والأكناف.

ولما وصل تلمسان[1] أوقع بوزيره عبد السلام الكومي[2] ثم تلى أثر ذلك الأمر ببناء[3] جبل طارق على ما أذكره.

(1)تلمسان تقع في الشمال الشرقي من مدينة وجدة، وهي مدينة أزلية عظيمة فيها آثار كثيرة، كانت دار مملكة زناتة. هذا ومن الغريب أن لا يشير ابن صاحب الصلاة لمدينة وجدة مع أنها كانت طريق المار والصادر من بلاد المشرق إلى المغرب وسجلماسة وغيرها. ولعل ما استهدفت إليه من تخريب مستمر كان من بواعث عدم التعريج عليها. وفي رجال تلمسان ألف ابن أبي مريم كتابه «البستان»... الاستبصار ص 176-177.

(2)كان عبد السلام من أقرب الناس إلى الخليفة بعد مقتل الوزير ابن عطية، وقد كانت له مصاهرة مع الأسرة الملكية حيث أن والد عبد المؤمن تزوَّج من أم عبد السلام وكانت له معها بنت اسمها (بندة) وعلى هذه القرابة كان يعتمد في «تصرفاته» الأمر الذي استوجب الإيقاع به بعد فتح المهدية والوصول إلى تلمسان بطريقة مناولته - وهو في السجن - مسهلاً أفقده قواه «حتى لم يبق فيه إلا عيناه» على حد تعبير ابن صاحب الصلاة. انظر ورقة 43 - 45 من المن بالامامة. (المخطوط)

(3)يلوح من هذا النص أن الأمر ببناء جبل طارق نفذ بعد الرجوع من المهدية وبعد الوصول إلى تلمسان والإيقاع بالوزير عبد السلام الكومي وذلك في الرسالة المؤرخة بالتاسع من ربيع الأول عام خمسة وخمسين وخمسمائة على ما يأتي قريباً، بيد أن هناك رسالة موحدية - نقل الأستاذ بروفنصال خطأ أنها من انشاء أبي جعفر بن عطية المتوفى سنة — 553 مكتوبة في العشرين من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وخمسمائة تفيد أن الأمر المشار إليه ورد لغرناطة من ظاهر المهدية بعد فتح قفصة، وتذكر أن النية انصرفت إلى «اختطاط مدينة عتيقة بجبل طارق» وللجمع بين راوية ابن صاحب الصلاة والرسالة الموجودة نعتقد أنه كانت هناك رسالتان متتابعتان في معنى واحد، إحداها صدرت أواخر سنة 554، والثانية مؤكدة أوائل 555. وعلى ذكر الرسالتين نرجح أن منشئهما أحد شخصين إما ابن المرخي أو القالمي فقد كانا معاً منشئين في هذه الفترة. هذا وغير صحيح أن الأمر بالبناء صدر من أحد خلفاء بني عبد المؤمن ولكنه كما يتأكد كان أولاً وثانياً من عبد المؤمن نفسه.
وبهذا تكون رواية الحميري في الروض المعطار محتاجةً إلى شيء من التحرير والتحقيق.
ليفي بروفنصال: رسائل موحدية ص 95. الحميري: الروض المعطار نشر وترجمة بروفنصال ص 121.
C. F. Seybold Encyclopédie de L'Islam Tome II: Gibraltar p. 179.

(ذكر الأمر العزيز في الكتاب الكريم، الواصل بما ألهم الله تعالى به الخواطر، ونوّر له الضمائر، بناء مدينة كبرى[1] في جبل طارق ومؤرخ بالتاسع من ربيع الأول عام خمسة وخمسين وخمسمائة)

ووصل الأمر العزيز ببناء مدينة كبرى ياكل (؟) بإذن الله تعالى ومعونته من ناضّها من المدن والقرى بالجبل الميمون القديم[2] البركة على جزيرة الأندلس السامق الشاهق[3]: جبل طارق المفتتح منه دانيها وقاصيها وطائعها وعاصيها، تكون هذه المدينة منزلاً للأمر عند إجازة العساكر المنصورة ومحلا[4] ريثما تتقدّم الرايات المظفرة والأعلام المنشورة إلى بلاد الروم [17]

(1) يظهر من النعت «كبرى» أنه كانت بالجبل مدينة سابقة لكنها لم تكن «كبرى» وقد ذكر ابن جزي، مسجل رحلات ابن بطوطة أنه شاهد بقايا السور الذي بناه طارق وأنها كانت تحمل اسم «سور العرب» كما ذكر أيضاً أنه كان هناك «برج صغير» قبل مباني أبي الحسن المريني في الجبل وإن هذا البرج تهدم بأحجار المجانيق إلا أنه لم يذكر هل هذا «البرج» أثر عربي أو أثر موحدي، وإن كنا نميل إلى التقدير الأخير، فإن ما استهدف له الجبل من تغييرات جوهرية يجعلنا نعتقد أنه لم يبق به من آثار طارق ما يستحق الذكر. وقد كان في الإمكان أن نتيقن من جلية الأمر لو أن النقوش العربية التي كانت بالجبل احتفظت بهيئتها، فلقد كان هناك نقشان الأول على الباب الجنوبي للقصبة، والثاني على جدار مبنى صغير قريب من «القلعة الحرة» لكن هذه النقوش بين متعذر القراءة وبين متلاش ضائع، وفيها ما يحمل لقب «أمير المسلمين» وفيها ما يحمل عبارة «لله العاقبة الباقية». رحلة ابن بطوطة ترجمة .Sanguinetti, Derementy المجلد الرابع ص 356. الاستقصا الجزء 3. ص 122.
Norris: The Early Islamic Settlement in Gibratar - (Reprinted from the journal of the Rydal Anthropological Institute vol 90 port 2 1960 page 40, 45).

(2) يشير إلى أن منه كان فتح بلاد الأندلس لأول مرة من قبل طارق بن زياد.

(3) يبلغ علو جبل طارق عن سطح البحر 425 ميتر.
La Grande Encyclopédie To 18 page 919.

(4) صريح جداً في الباعث الذي جعل عبد المؤمن يقدم على بناء هذه المدينة في الجبل، وقد كان الموحدون فعلاً أول من أدرك الأهمية الكبرى للجبل كموقع حربي هام للاحتفاظ ببلاد «الروم». وضبط الملة بين المغرب والأندلس.

وكان في الكتاب الكريم أمر جزم إلى السيد الأجل أبي سعيد عثمان[1] بن الخليفة أمير المؤمنين - رضي الله عنه - بالمشي من غرناطة بنفسه وأصحابه وجملة عسكره إلى جبل طارق المذكور والاجتماع فيه مع الطلبة الذين باشبيلية، للالتقاء والاجتماع فيه بالشيخ الأجل أبي حفص[2] إن أمكنه[3]، وبأبي اسحق برّاز بن محمد[4]، وبالحاج يعيش[5] وبالقائد عبد الله بن خيار الجياني[6] والمشاورة معهم، والتراوض حيث يكون البناء المذكور المأمور به من الجبل وأمره في الكتاب الكريم وكذلك للسيد الأجل أبي يعقوب باشبيلية

(1) أبو سعيد عثمان والي غرناطة أحد أبناء عبد المؤمن الثمانية عشر، من الذين اتفقت عليهم رواية ابن صاحب الصلاة، وعبد الواحد المراكشي، وابن أبي زرع

(2) هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني من أبرز خاصة المهدي بن تومرت، وقد خصه بقيادة كتيبة الدرقة (Adarga) وإليه يرجع الفضل في تثبيت مركز الدولة الموحدية واستقرار سلطانها، وهو بطل موقعة السبطاط سنة 568 وجدُّ الملوك الحفصيين أصحاب تونس وإفريقية، توفي عند منصرفه من قرطبة في طريقه برباط الفتح من سلا سنة 571 وبها دُفِن.
البيذق: أخبار المهدي 32-33. ابن صاحب الصلاة: 384. ابن عذاري: البيان المغرب ص 101. ابن أبي زرع: الأنيس ثان ص 113. الاستقصا 2:77-99-100.

(3) ورد في نص الرسالة الموحدية: «وقد خاطبنا الشيخ الأجل أبا حفص - أعزه الله - ليصل إلى ذلك المكان إن تمكن له». وهو يدل على المركز الذي كان ينعم به الشيخ أبو حفص حيث أنه لم يؤمر بالالتحاق بالجبل إلا إذا كان ذلك لا يزعجه.. بروفنصال: رسائل موحدية ص 98.

(4) الشيخ أبو اسحاق هذا ورد ذكره في «الرسالة الموحدية» مرتين، وقد توفي متأثراً بعلة النقرس La goutte عام 559. بروفنصال: رسائل موحدية ص 97 - 98. ابن صاحب الصلاة ص 65.

(5) الحاج يعيش المالقي من ألمع وأشهر المهندسين الذين تألق نجمهم على عهد الموحدين وقد كانوا يلجأون إليه في كل المشاريع الهامة، فهو الذي صنع بأمر من عبد المؤمن بمدينة مراكش مقصورة المسجد الجامع التي حيّر وصفها سائر المهتمين بالآثار الموحدية وخاصة منهم الذين يعنون بالنهضة الميكانيكية على ذلك العهد «فلقد وضعت على حركات هندسية ترفع بها عند خروج الخليفة وتخفض لدخوله..» وهو الذي قام سنة 567 في اشبيلية بعملية تسريب الماء لسقي البحيرة الملكية، وتوصيله إلى داخل اشبيلية من قلعة جابر، كما قام ببناء خزان للماء داخل المدينة، منه كان الماء يتوزع على مختلف أحيائها. الحلل الموشية نشر الأستاذ علوش 1936 ص 119 - 120. ابن صاحب الصلاة: المن بالامامة ص 323. — 324.

(6) يكنى أبا محمد، ويعتبر في عداد المتأدبين، وقد كان «مشرفاً» على مدينة فاس أيام الملثمين، وكان الصحراوي واليها، لكنه - وقد شب بينهما خصام - تآمر على الصحراوي في ليلة تعريسه بامرأة من قبيلته، ودعا للموحدين سنة 540. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ص 146. ابن عذاري: ص 19 - 20.